

علاقة الدولة الخارجية في ضوء قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ

د. محمد إبراهيم أبو جريبان*

تاريخ وصول البحث: ٢٠١٦/١٠/٥ م تاريخ قبول البحث: ٢٠١٧/٦/١٨ م

ملخص

تطرق البحث لتحديد علاقة الدولة الخارجية مع غيرها، في حالتها السلم والظروف الطارئة التي تمر بها الدولة، واستند في استخلاص هذه العلاقة من خلال مجريات أحداث قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ في سورة النمل التي أبرزت ملامح تلك العلاقة وبينتها، وأظهرت أن الدول تحرص -عادة قبل اندلاع الحروب- على تعبئة الجيوش، وصون الجبهة الداخلية والحفاظ عليها، والتدقيق، والمراقبة الصارمة للأوضاع والأشخاص، واستشارة الخبراء، وأهل الأمر؛ لتكون النتائج مضمونة؛ لتخرج من حربها منتصرة، أو بخسائر قليلة.

كما تطرق البحث لبيان حرص الدول على تنمية العلاقات السلمية فيما بينها، ولأجل ذلك سعت إلى تعيين السفراء، وأكرمت وفادتهم، وبالغت في استقبالهم، واهتمت بكل المظاهر الدبلوماسية، والمجاملات الدولية المتعارف عليها في هذا الشأن.

Abstract

The research mainly determines the country's foreign relations with the others in both cases; war and peace. The research depends on the events of the story of Solomon (Peace be upon him) with the queen of Sheba to conclude this relation. Surah An Naml outlines and shows all the features of this relation. Moreover, it shows that countries before the outbreak of war usually keen to mobilizing armies, maintaining support on the home front, auditing, strict controlling for people and conditions, and experts consulting to guarantee the results and win the war with minimal losses. The research also shows that countries keen to develop peaceful relations among themselves. For that reason, the countries appointed ambassadors, exaggerated in their welcoming, and focused on all aspect of diplomacy, and the common international courtesies.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على رسول الله خاتم النبيين الذي اقتفى نهج إخوانه الأنبياء، وأكمل سيرتهم حتى استقام الأمر، وتم البناء، وأصبح الناس على بينة من أمرهم. وبعد؛ فإن القرآن الكريم هو مصدر الشريعة، وأساسها؛ فقد حوى طرق الخير، وسبل الهداية للخلق إلى قيام الساعة. لهذا فقد نوع القرآن الكريم في أسلوبه، وخطاباته الدعوية؛ من طرائق بيانية، وعلمية، وعقلية.. ليأتي الناس من كل زاوية، ويقتحم أذهانهم في كل ركن، ويأخذهم بالموعظة الحسنة، والحجة البينة، والبرهان الساطع. ومن هذه الأساليب الدعوية التي جاء بها القرآن الكريم أسلوب القصة، وخاصة قصص الأنبياء مع أقوامهم، وما حصل لهم فيها من مواقف وعبر، وأحداث. ومن بين هذه القصص، قصة نبي الله سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، وفيها نرى مقدار حكمة سليمان عليه السلام، وحسن تصرفه

* أستاذ مشارك، كلية الأميرة رحمة الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية.

أثناء تعامله مع هذه الملكة، سواء أكان هذا التعامل قبل الالتقاء بها؛ من حيث فن إدارته للأزمة الطارئة بإعداده للأمة، وتفقدته للجيش، أم بعد كشف أمرها عن طريق رسله ومبعوثيه، ومستشاريه؛ مما أدى لإذعانها، واقتناعها بهذا الأمر، ومن ثم توبتها، وإسلامها لله رب العالمين.

وفي هذه القصة رسائل للحكام تصلح لسياسة الدول، وتنفيذ علاقاتها الخارجية حين التفاعل، واللقاء مع الآخرين؛ فتكون على بينة من أمرها قبل الإدلاء بدلوها. ومن هنا وجب على القادة المسلمين ورجال السياسة في دولهم، ودعاة الإصلاح والسفراء دراسة قصص القرآن الكريم التي فيها الهداية لمن رغب بها، وبحث عنها.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح أهم مسالك علاقات الدولة الخارجية في شتى الظروف والأحوال سواء كان ذلك في أوقات الأزمات الطارئة والظروف الاستثنائية، أم كان في حالات السلم والظروف الطبيعية، كما أشارت إليه آيات قصة سليمان ﷺ مع ملكة سبأ في سورة النمل.

كما تهدف إلى بيان ناحية من نواحي المعرفة المتعلقة بهذه السياسة، كما جاء ذلك في رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء.

كما تهدف إلى ترسيخ مفهوم التعبئة المعنوية كمقمة ضرورية تلجأ إليها الدول في الظروف الطارئة التي تمر بها لأجل السعي لإدارة أزماتها السياسية الدولية.

أهمية الدراسة:

تتبع أهمية الدراسة من كونها تعالج موضوع سياسة الدولة الخارجية في ضوء آيات من القرآن الكريم، تحدثت عن قصة سليمان ﷺ مع ملكة سبأ.

كما تتبع أهمية هذه الدراسة من تقديمها صورة واضحة المعالم للناس في مجال العلاقات الخارجية، وما ينبثق عن ذلك من فن إدارة الأزمات السياسية بين الدول، وهو مما يعطي الإسلام سبق التاريخي في هذا الجانب المهم.

أسئلة الدراسة:

- 1- ما الأسس التي تقوم عليها السياسات الخارجية للدولة في الحرب والسلم في ضوء القرآن الكريم؟
- 2- ما أهم الصور التي تؤدي لحشد الأمة، وإعدادها، وتوحيد جبهتها الداخلية؟
- 3- ما أهم الحصانات التي كفلتها الشريعة الإسلامية للمبعوثين والسفراء خارج دولهم؟
- 4- ما الأدلة الشرعية التي تبين حصانة الرسل والسفراء؟

منهج الدراسة:

تقوم الدراسة على استخدام المنهج الوصفي، والاستنباطي لمعرفة الظواهر الإيجابية وتوضيحها في ضوء الآيات القرآنية في سورة النمل، وتحديد المواقع المتعلقة بهذه الدراسة بعد مقارنتها وتحكيم الأدلة؛ لاستثمار السياسات الإيجابية النافعة.

الدراسات السابقة:

هنالك دراسات سابقة لها علاقة ببعض مفردات البحث، ومنها:

- (1) دراسة الباحث (علام النعنع)، بعنوان "التعبئة المعنوية في القرآن الكريم"، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، عام

١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م. وقد بحثت هذه الدراسة في الجوانب المتعلقة بالتعبئة المعنوية؛ مبينة سمات العقيدة العسكرية الإسلامية، وبعض الأساليب الداعية للقتال. كما ركزت تلك الدراسة على وسائل تربية النفوس في ميادين الجهاد مستخلصة ذلك من القرآن الكريم، وقد تطرق الباحث لمجال الحرب النفسية من منظور قرآني مبينا مفهوم تلك الحرب وماهيتها وأهم وسائلها، وطرق الوقاية منها.

أما فيما يتعلق بأهم الفروق بين هذا البحث وتلك الدراسة؛ فإن البحث قد قام على تحليل محاور التعبئة المعنوية في قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، ودعم ذلك التحليل بالمشاهد التطبيقية من خلال السيرة النبوية، وهو ما خلت منه تلك الدراسة. (٢) دراسة الباحث (عبدالله بارشيد)، بعنوان "السمات القيادية المستنبطة من قصة سليمان مع ملكة سبأ وتطبيقها في مجال القيادة التربوية"، جامعة الأزهر، القاهرة، جمهورية مصر العربية، عام ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م. وهدفت الدراسة إلى استنباط السمات القيادية من تلك القصة، والعمل على إبراز الجوانب التطبيقية لبناء منظومة قيادية متطورة، وقد توصل الباحث إلى استنباط العديد من السمات القيادية والقيم التربوية التي يمكن للقائد استثمارها لصالح دولته أثناء التعامل مع الاطراف الأخرى.

أما فيما يتعلق بأهم الفروق بين البحث وهذه الدراسة؛ فإن البحث يسعى لتوضيح معالم العلاقات الخارجية للدولة بكل مكوناتها من سلطة حاكمة ذات قوة تتمثل بالقائد الحكيم المدير والجيش المدرب المنضبط والمنفذ لأوامر القيادة، كما تتمثل بالجهاز الدبلوماسي المتفاني في خدمة الدولة على ضوء من قصة سليمان عليه السلام كما وردت في سورة النمل. وهذا ما لم تتطرق له تلك الدراسة حيث ركزت على أهم القيم التربوية التي يتحلى بها القادة.

(٣) دراسة الباحث (جمال نجم)، بعنوان "أحكام الرسل والسفراء في الفقه الإسلامي"، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، عام ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م. وهدفت تلك الدراسة لتسليط الضوء على دور الإسلام في إقرار قواعد العلاقات الدولية القائمة على التعاون والتعارف، كما بينت الدور الإنساني المهم الذي يقوم به السفراء والرسل للتقريب بين وجهات النظر المختلفة بغية إيجاد السلام وإنهاء الصراعات بين الدول. وتوصل الباحث إلى سبق الإسلام في إقرار قواعد عمل الرسل والسفراء، كما بين مدى ارتباط عقد الأمان بحماية السفراء.

أما فيما يتعلق بأهم الفروق بين هذا البحث وتلك الدراسة؛ فإن البحث قد استخلص أهم مجالات العلاقات الدولية من خلال آيات سورة النمل المتعلقة بقصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، وقد ركز البحث على مجال التعبئة والإعداد المعنوي للأمة؛ لأن ذلك يعتبر أساساً قوياً وأرضاً صلبة لما يترتب عليه من دور حاسم للأمة أثناء تعاملها مع الأطراف الخارجية في الظروف الاستثنائية، إضافة إلى استنباط أهم قواعد العمل الدبلوماسي المنظم لشؤون السفراء من خلال آيات سورة النمل، وهذا ما لم تتعرض له تلك الدراسة.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة و ثلاثة مباحث وخاتمة:

المقدمة: وقد بينت فيها أهداف البحث وأهميته ومنهجه والدراسات السابقة، وخطة البحث.

المبحث الأول: علاقة الدولة الخارجية في أوقات الأزمات والظروف الطارئة في ضوء قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، ويتكون من مطلبين.

المبحث الثاني: علاقة الدولة الخارجية في حالة السلم في ضوء قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، ويتكون من مطلبين.

المبحث الثالث: المراسيم والحمايات (البروتوكولات والحصانات) في ضوء قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، ويتكون من مطلبين.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج.

المبحث الأول

علاقة الدولة الخارجية في أوقات الأزمات والظروف الطارئة

في ضوء قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: إدارة الأزمة السياسية في ضوء قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ

المطلب الثاني: التهديد بإعلان الحرب في ضوء قصة سليمان عيه السلام مع ملكة سبأ

إن علاقة الدولة الخارجية مع غيرها من الدول أثناء الأزمات السياسية والظروف الطارئة، أو ما يعرف في علم السياسة [الاستراتيجية]، والتي يقابلها علاقة الدولة مع غيرها في حالة السلم، أو ما يطلق عليه [الدبلوماسية]^(١)؛ ما هي إلا تلك الأحداث التي تبين تصرفات الدول، وتفاعلاتها، وتحلل نظراتها ومقاصدها وأهدافها، انطلاقاً من مصالحها وأولياتها. فهذه الفكرة في السياسة الدولية قد تضمنتها قصة نبي الله سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، وبينتها، وحددت أصولها ومعالمها، وأقامت صرحها. ولقد أصدر نبي الله سليمان عليه السلام كثيراً من القرارات، والقضايا السياسية، لفرض هيئته وتحقيق أهدافه وسياسته القائمة على منهاج تحقيق العبودية لله تعالى في الأرض في مجال العلاقة الخارجية أوقات الأزمات السياسية والظروف الطارئة، والتي تظهر في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: إدارة الأزمة السياسية في ضوء قصة سليمان مع ملكة سبأ:

قال تعالى: ﴿وَحَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧]. وقال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠].

يقصد بمفهوم إدارة الأزمة: كيفية التعامل والتغلب على الأزمة الطارئة بالأدوات العلمية المختلفة، وتجنب سلبياتها والاستفادة منها مستقبلاً^(٢). فسليمان عليه السلام يسعى لبناء دولته لتكون قوية مادياً ومعنوياً؛ ولتقوم بوظيفتها الأساسية بنشر دين الله تعالى وحمايته؛ فإن ذلك من أهم وظائف الدولة المسلمة، وأسمى أهدافها وعلى أساس ذلك تتشكل علاقتها بغيرها من الدول؛ لهذا فإن نبي الله سليمان عليه السلام قد اتخذ الاحتياطات الضرورية حينما رأى الأخطار تهدد مملكته القائمة على تحقيق عبودية الله تعالى وتوحيده، والدعوة إلى الإسلام. فكان لا بد من إعلان استراتيجية التعبئة العامة، كمقدمة أساسية لإدارة الأزمة السياسية الطارئة، والتي تتمثل في تعبئة جميع قوى الدولة، ومواردها البشرية والمادية الفكرية والمعنوية وإعدادها إعداداً صحيحاً؛ لتحويلها من حالة السلم إلى حالة الحرب بالنسبة لمقتضيات الظروف^(٣).

وما حشر الجنود لسليمان عليه السلام إلا إعلان للتعبئة في مملكته، واستعراض لاستعداد جيشه، وإعلان لحالة الطوارئ^(٤)؛ المترتبة على تلك التعبئة. وبهذا فإن سليمان عليه السلام قد باشر في إدارة الأزمة السياسية الطارئة مع ملكة سبأ، حيث يعتبر الحشد وجمع الموارد البشرية من أهم مجالات التعامل مع الأزمات^(٥). يقول الأكوبي في تفسير هذه الآيات الكريمة: جمع له عساكره من الأماكن المختلفة؛ ليذهب بهم إلى محاربة من لم يدخل في ربة طاعته عليه السلام^(٦). فنشر الدعوة، وحماية دين الله تعالى من أهم أهداف العلاقات الخارجية للدولة المسلمة، ولتحقيق هذا الهدف لا بد من حشد الجنود ووضعهم على أهبة الاستعداد، وهو ما فعله سليمان عليه السلام حينما أخبره أحد جنوده بالنبأ المهم.

أما دلالة قوله تعالى: [فهم يوزعون] أي: يوجهون وينضبضون حسب التعليمات الصادرة من القيادة، فتكون لهم مرجعية واحدة. يقول الإمام الرازي: أي يحبسون، وهذا لا يكون إلا إذا كان في كل قبيل منها وازع، ويكون له تسلط على من يرده

ويكفيه ويصرفه^(٧). ولهذا فقد اهتم سيدنا سليمان ﷺ بحسن التدبير والتنظيم، وضبط الجند؛ لأجل الإشراف عليهم، بحيث لا يتوقع منهم الخروج عن رأيه، ومخالفة أمره. وبذلك فإن سليمان ﷺ يكون قد باشر في إدارة الأزمة الطارئة، وهياً أفراد مملكته للاستعداد لحماية الدعوة، وأعلن التعبئة بين صفوفها.

وإعلان التعبئة في الأمة لأجل حماية أمنها، وحماية دين الله تعالى؛ يستلزم إعدادها إعداداً عاماً؛ يتمثل في توفير العدة المادية، والمعنوية؛ لتكتمل قوة الأمة. ولأن الإعداد المادي وحده لا يهزم الخصم؛ فلا بد من الاهتمام بالإعداد الإيماني. ولهذا فقد اهتم قادة الجيوش الإسلامية على مدار التاريخ بتلك التعبئة، وهذا الإعداد، ووضعوا ذلك نصب أعينهم في كل حروبهم اقتداءً برسول الله ﷺ. فعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، قال: [عبأنا النبي ﷺ ببدر ليلاً]^(٨) أي: هياهم للقتال، وسوى صفوفهم.

وبهذا الصدد يقول صاحب المذهب: [ويستحب أن يحرض الجيش على القتال]^(٩). كما يستحب للفائد معرفة جنده عن قرب؛ ليقف على استعداداتهم، وليرى مواطن الخلل فيهم؛ فيصلح منها ما استطاع. ولهذا فقد تفقد سليمان ﷺ جنده، واكتشف الخلل حينما أدرك غياب الهدد، وتوعده شر وعيد. وأخذ من هذا الموقف؛ فإن وجود القائد مع جنده في مثل هذه الظروف، والأحوال؛ يعزز من إمكانياتهم ويرفع من معنوياتهم؛ فالهدد على صغر حجمه لم يغب عن نظر سليمان ﷺ، ومهما يكن دور الهدد في الجيش فإن سليمان ﷺ يقدر له هذا الدور، ويشعره بأنه دور عظيم، ويترتب عليه شأن كبير.

يقول الألويسي في تفسير هذه الآية الكريمة: إن سليمان ﷺ أراد معرفة الموجود منها من غيره، بحسب ما تقتضيه العناية بأمر الملك والاهتمام بالرعايا؛ لا سيما الصغار منها، وتفقدته ﷺ إنما كان عناية منه بأمر ملكه، واهتماماً بضغفاء جنده^(١٠). فشخصية سليمان ﷺ القيادية الملهمة جعلته لا يغفل عن دور جندي من جنوده في هذه الأوضاع الطارئة، فسأل عنه قائلاً: ما لي لا أرى الهدد؟

وخلاصة القول: أرى أن التعبئة كمنهج لإدارة الأزمة تتطلب تحديث الجيوش بكل السبل، ورفع المعنويات الإيمانية. ولهذا ينبغي على الأمة إعداد قوة ضاربة بين صفوفها، ومجهزة تجهيزاً خاصاً، وأن تكون معدة لأوقات الطوارئ التي تغشى الأمة؛ لأن ضرورة الاستجابة السريعة للأحداث من أهم خصائص إدارة الأزمات السياسية^(١١)، وهذا ما سلكه سليمان ﷺ، حينما طلب إحضار عرش الملكة بأقصى سرعة قائلاً: من يأتيني بعرشها؟ فتصدى لذلك عفريت من الجن؛ فرغب عنه سليمان ﷺ لأنه يريد هذا الحدث في فترة زمنية وجيزة، فأسنده إلى أحد مستشاريه، قال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]. وإن كان هذا الفعل قد صدر من رجل يعرف اسم الله الأعظم، كما يقول أكثر المفسرين^(١٢)؛ إلا أن ذلك لا يمنع من تعهد سليمان ﷺ لهذا الرجل، وتربيته له، ومراقبته وإرشاده؛ ليصل إلى ما وصل إليه من العلم والقدرة.

مجالات تعبئة الأمة في الظروف الطارئة:

يمكن تعبئة الأمة وإعدادها معنوياً لتفادي الأزمة السياسية الطارئة من خلال عدة مجالات منها:

أولاً: الحث على الجهاد والاستشهاد:

حث الجنود على الجهاد، ومقارعة الأعداء، والصبر عند اللقاء، وبذل الأرواح في سبيل الله ﷻ واجب من واجبات القادة والعلماء؛ لأن ذلك أساس عملية الردع التي تسهم بشكل كبير وفعال في إدارة الأزمات، ولقد سجل التاريخ صوراً رائعة

في هذا الباب، وما فعله رسول الله ﷺ في غزوة بدر حينما كان يحث المسلمين، ويحرضهم على القتال، ويقول لهم [والذي إنفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة...] (١٣) هو أساس هذا المنهج. ومن التطبيقات النظرية التي تعزز الجهاد، والاستشهاد في الأمة ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال الرسول ﷺ: [لا يُكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يُكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة وجرحه يتعب اللون لون دم والريح ريح المسك] (١٤) فجاءت الاستجابة العملية فورا من قبل الصحابة لهذه التطبيقات النظرية، ويظهر ذلك من قوله ﷺ: [قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض، فسأل أحد الصحابة الكرام، وهو عمير ابن الحمام. فقال: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض. فقال رسول الله ﷺ: نعم عرضها السماوات والأرض. فقال عمير: بخ بخ!! فسأله رسول الله ﷺ: ما يحملك على هذا القول؟ فقال: رجاء أن أكون من أهلها؛ فطمأنه الرسول ﷺ، وقال: فإنك من أهلها، وكان في يده تمرات يأكل منها؛ فذف التمرات من يده، وقال: ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟ إن أنا حبيت حتى أكل هذه التمرات إنها حياة طويلة، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل] (١٥)، لهذا يعتبر الحث على الجهاد وبذل الأرواح في سبيل الله ﷻ من أبرز واجبات القادة حين إعلان التعبئة في الأمة؛ لنفاذي الأزمات السياسية الطارئة، وما قد ينتج عنها من خطر داهم على الأمة بأسرها.

والصورة الحقيقية للحث على الجهاد والاستشهاد تظهر في تقديم القائد نفسه قدوة لجنوده؛ في التعايش معهم، ومشاركتهم تجمعاتهم، ومناوراتهم، وخططهم؛ ليقربهم من نفسه، ويحببهم إليه، ويظهر ذلك في قصة سليمان عليه السلام، حينما استعرض جنوده، وتفقدهم، كأنه يعرفهم جميعا؛ فأثنى على الحضور، وتوعد من غاب منهم. قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ أَمْ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل: ٢٠].

ثانياً: التصدي لشائعات الأعداء وحريهم النفسية:

قال تعالى على لسان قوم ملكة سبأ: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بِأَسِ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ [النمل: ٣٣]. وقال تعالى: ﴿ارْجِعِ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَدْلَلَةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل: ٣٧].

لقد استشارت ملكة سبأ جنودها حينما أتتها كتاب سليمان عليه السلام، وقرأته عليهم؛ فمنا إليها بعددهم وعدتهم وقوتهم، ثم فوضوا إليها الأمر قائلين نحن من أبناء الحرب لا من أبناء المشورة (١٦). ومن دلالة الآية الكريمة نلمح اغترارهم بقوتهم وتفخروهم بسطوتهم؛ وكأن تلك الادعاءات رسائل نفسية موجهة إلى سليمان وجنده للنيل من عزائمهم، وهو ما يجب أن نفهمه في عصرنا الحاضر.

فإطلاق الشائعات والتفاخر والاعتزاز بالقوة يعد من الحرب النفسية التي تحقق أثرا كبيرا في إدارة الأزمات السياسية التي يفتعلها الخصم لإرباك عدوه؛ وهذا ما سعى إليه أعوان الملكة وجندها حينما اغتروا بقوتهم وعدتهم، فتصدى سليمان عليه السلام لتلك الشائعات، والحرب النفسية، ولم يخش جيش الملكة وقوتها، ولم يأبه لعرشها ودولتها؛ بل قال للسفير المرسل (ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود...) فبتلك الإرادة وذلك التهديد باستخدام القوة تتجلى مقدرة سليمان عليه السلام القيادية في إدارته للأزمة ودفع الأخطار عن دولته، وسعيه في رد شائعات الأعداء وحريهم النفسية؛ بل ومحاولته إيقاع الرعب في قلوبهم حينما يعلمون قوة جيشه وعزيمتهم، وهو بهذا الصنيع إنما يغرس في قلوب الأعداء الوهن، والضعف؛ لأنه لا طاقة لهم بمقاومة جنده، ولا قدرة لهم على مقابلة جيشه.

إن قوة الإيمان، وصلابة العقيدة نهج سار عليه الأنبياء مع أقوامهم، وهو كفيل بالوقوف سدا منيعا أمام شائعات الأعداء، وحريهم النفسية، ولهذا فقد تعجب أحد جنوده من وجود آلهة تعبد في الأرض من دون الله تعالى، واستعظم هذا الأمر، وخاطب

سليمان عليه السلام مستغنياً بذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤]. فوصف الامر بالخبر العظيم، والحدث الجلل.

لهذا فإن التربية الإيمانية تعد أفضل نهج لحماية الأمة من شائعات الأعداء وحرهم النفسية، فيجب التمسك بتلك التربية المستمدة أساساً من صلابة العقيدة، وقوة الإيمان، وطاعة الله تعالى وعبادته، كما في قوله تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

ثالثاً: جمع الكلمة وتوحيد الجبهة الداخلية:

إن توحيد الجبهة الداخلية، وجمع الكلمة أثناء الطوارئ والأزمات السياسية يعد من أهم الأهداف التي تسعى إليها الدول وتحاول تحقيقها، ومما يسهم في ذلك:

(١) تحقيق العدل والتكافل بين أفراد الأمة: قال تعالى: ﴿وَتَقَفَّذَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الِهُدُودَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبُهُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحُهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: ٢٠، ٢١]. فسليمان عليه السلام توعدهم بالهدد كجندي من جنوده؛ بأشد العذاب، لأنه غاب عن واجبه الذي أسند إليه، ولكنه مع ذلك قبل منه العذر على غيابه؛ فقال: أو ليأتيني بسُلطان مبین. والسُلطان المبین، هو الحجة البينة في غيبته^(١٧). فهو بذلك يقيم العدل بين أفراد مملكته، ويسعى لتحقيق ذلك، ليكونوا جبهة واحدة متماسكة أمام عدوهم.

وحينما يشعر الشخص أنه يعيش بأمان في ظل دولة تسعى لإسعاده، ورفع معاناته، وتحقيق رغباته المشروعة؛ ينضوي تحت راية الدولة، ويتفانى في خدمتها، ويبذل جهده في الدفاع عنها، وقدوتنا في هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي انطلق عند تكوين الدولة النبوية بما يجب أن تكون عليه الدولة؛ فوحد المسلمين في المدينة وآخى بينهم، وعمل على توحيد الجبهة الداخلية في كل أرجاء المدينة. فأمر بكتابة الوثيقة، لتكون مرجعاً لهم، ودستوراً يضبط تصرفاتهم، ووجههم لبناء دولتهم اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وعسكرياً؛ فحل مشكلاتهم، وراقب أسواقهم، وعقد الألوية، وبث السرايا للدفاع عنهم، وبهذا يكون قد جمع الأمة، ووحدها.

(٢) السرعة في اتخاذ القرارات ومراقبة الأشخاص المشكوك في ولائهم لدينهم ومعالجة تصرفاتهم: إن مواجهة الأزمة ينبغي أن يتم بسرعة وحذر شديدين لتفادي تطور الموقف إلى نزاع مسلح^(١٨).

لهذا فإن سليمان عليه السلام لما رغب في إحضار عرش الملكة، وطلب ذلك الأمر ممن عنده. تصدى لهذه المهمة عفريت من الجن؛ فأعرض عنه سليمان عليه السلام، وأحال الأمر إلى شخص يمتلك السرعة القصوى، ولا يشك في ولائه، وهو آصف بن برخيا، وزير سليمان، وكان يعلم اسم الله الأعظم^(١٩). قال تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عَفْرَيْتُ مَنْ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠، ٣٨].

لذلك فإن القيادات مهما عظمت، لا تستطيع جمع كل الأفراد، ونيل ثقتهم، وتوجيههم نحو تحقيق أهدافها وغاياتها؛ فلا بد من ظهور بعض الموافق السلبية، وهنا تكمن الحكمة، في تجاوز الأزمة والتخفيف من آثارها. ولنا في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة؛ فإنه لما رجع من غزوة بني المصطلق، وقع شجار بين فتى من الأنصار، وفتى من المهاجرين؛ فاستغل هذا الحدث عبد الله بن أبي سلول زعيم المنافقين، وانتزها فرصة لإشعال نار الفتنة بين المهاجرين والأنصار. ولما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا

الأمر عاجله فوراً؛ فأذن بالرحيل في ساعة لم يكن الرسول ﷺ يرتحل فيها؛ فارتحل الناس^(٢٠)، وقد أشغلهم هذا الجهد عن الخوض فيما وقع بينهم. وبذلك استطاع رسول الله ﷺ من إدارة الأزمة الطارئة، وإخماد نار الفتنة في مهدها، وإحباط مؤامرات الأعداء والمترصبين.

٣) الاستطلاع والسرية والكتمان في رسم الخطط لإدارة الأزمة: إن عملية رسم الخطط وتقييمها، والنظر في المواقف الاستراتيجية، وتقليب وجهات النظر مع أصحاب الشأن والمختصين في الأمة من سياسيين، وعسكريين؛ يعد من الحلول الإيجابية التي تسهم في إدارة الأزمات^(٢١).

وما قول سليمان ﷺ لمن عنده: أياكم يأتي بعرشها، إلا تدارس للمواقف وتقليب لوجهات النظر السياسية والعسكرية وتقييم لها، في ظل تلك الظروف. ولقد كان رسول الله ﷺ يطبق هذه الاستراتيجية في كثير من غزواته؛ [فكان إذا ما هم بغزوة ورى بغيرها]^(٢٢). حتى لا تصل أخباره إلى العدو؛ فيعد العدة، ويتخذ من الوسائل، والسبل ما يعيق تحقيق الأهداف والخطط المدروسة.

ومما يتعلق بمبدأ الكتمان، وابتكار الرسائل المكتومة؛ ما فعله نبي الله سليمان ﷺ مع ملكة سبأ حينما أرسل إليها كتاباً مكتوماً مع أحد جنوده، وأمره بإلقائه إليها، والنظر في نتيجة ذلك الكتاب على وجه السرعة، وبسرية تامة. قال تعالى: ﴿أَذْهَبَ بَكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨]. أي: تتح عنهم إلى مكان قريب بحيث تراهم، ولا يرونك؛ ليكون ما يقولونه بسمع منك، وانظر ما الذي يريدونه من الجواب^(٢٣).

فهذه خطة عسكرية محكمة يلجأ إليها القادة في الأزمات الطارئة والظروف الاستثنائية، لتحقيق الأهداف وكسب المواقف، ولقد سار رسول الله ﷺ على هذا المبدأ العسكري الهام، فحينما بعث عبد الله بن جحش على سرية؛ بعث معه رسالة مكتومة، وأمره ان لا يفتحها إلا بعد مسيرة يومين؛ فإذا فتحها مضى في تنفيذها غير مستكره أحداً؛ فسار عبد الله، ثم قرأ الكتاب بعد يومين، فإذا فيه: إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف، فترصد لنا بها عير قريش وتعلم لنا من أخبارهم؛ فقال: سمعا وطاعة، وأخبر أصحابه بذلك^(٢٤).

وقد يقوم بمهمة الاستطلاع، وجمع المعلومات عن الأعداء شخص واحد فيه من الصفات، والقدرات ما تؤهله لهذا العمل الهام؛ ففي قصة سليمان ﷺ، كان المكلف بهذا العمل الهدهد، لجمعه لهذه المناقب. وفي تخصيصه له بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من الجن الأقوياء، دليل على حسن التصرف والتعرف؛ لما عاينه في الهدهد من مخايل العلم، والحكمة^(٢٥). وفي السيرة النبوية ما يعزز هذا الاختيار لمثل تلك الأعمال، والمهام العظيمة. فقد اختار رسول الله ﷺ جندياً من جنوده، للقيام بهذه الأعمال البطولية؛ فكلف حذيفة بن اليمان ﷺ في غزوة الخندق بمهمة عظيمة.

يقول حذيفة: لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق من الليل، ثم التفت إلينا، فقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع؟ أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة. فما قام أحد من شدة الخوف، وشدة الجوع، وشدة البرد. فدعاني رسول الله ﷺ: فلم يكن لي بد من القيام حيث دعاني. فقال: يا حذيفة اذهب فادخل مع القوم؛ فانظر ماذا يصنعون، ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا. قال: فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل. لا تقر لهم قدراً، ولا ناراً، ولا بناء^(٢٦). فمن يقوم بمثل هذا العمل الاستخباراتي المهم يجب أن يتمتع بكثير من المزايا المهمة، والتي منها: الإخلاص، والأمانة، والصدق، وخفة الحركة، والشجاعة، والذكاء، ورباطة الجأش، والصبر... الخ.

٤) مشاوره أهل الرأي والاختصاص: قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُون﴾ [النمل: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨]. وفي هذا دليل على صحة المشاورة إما استعانة بالآراء، وإما مداراة للأولياء^(٢٧). فالأزمات تضع صاحب القرار في محك حقيقي بحيث تتطلب اتخاذ قرارات راجحة وصحيحة. فكان لا بد من المشاورة في الأمر لتجاوز هذه الأزمة. وهذا ما تحقق لملكة سبأ؛ فحينما ألفت خبر الكتاب بين قومها؛ بينت لهم أن ذلك كان من دينها، وأنه سياسة متبعة في مملكتها، فهي لا تتخذ أمراً هاما في مثل هذه الظروف إلا بعد مشاورة قومها.

يقول القرطبي: أخذت في حسن الأدب مع قومها، ومشاورتهم في أمرها، وأعلمتهم أن ذلك مضطرد عندها في كل أمر؛ فكيف في هذه النازلة الكبرى. فقالت لهم ما قالت؛ لتختبر عزمهم على مقاومة عدوهم، وإمضائهم على الطاعة لها، فكان في مشاورتهم، وأخذ رأيهم عون على ما تريده من قوة شوكتهم، وشدة مدافعتهم^(٢٨). فالشورى مبدأ مهم يقرب الوجهات بين الشعوب وقادتها ويؤدي لرفع مستوى الأمة، وتحملها للقرارات المتخذة. ولهذا أخذ سليمان عليه السلام بمبدأ الشورى؛ فجمع ممن تحت يده من الجن والإنس، واستشارهم في الإتيان بعرش الملكة قبل وصول موكبها، مما يدل على مدى أهمية الشورى، وإنها من أهم دعائم الحكم، وأصل من أصوله؛ فيجب العمل بها كما بين ذلك جمهور الفقهاء من الحنفية^(٢٩) والمالكية^(٣٠) والراي المختار عند الشافعية^(٣١) والحنابلة^(٣٢)، لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨].

وقد نقل الإمام القرطبي الإجماع على وجوب الأخذ بالشورى، فقال: قال ابن عطية الشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام ومن لم يستشر أهل العلم فعزله واجب، وهذا ما لا خلاف فيه^(٣٣). وذلك لورود الأمر بها، والأمر يدل على الوجوب ما لم يوجد صارف يصرفه من الوجوب إلى الندب، ولا صارف هنا.

المطلب الثاني: التهديد بإعلان الحرب:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَدْلَةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [النمل، الآيتان ٣٦ و ٣٧].

بعد إعلان حالة الطوارئ في الدولة، ومراقبة الوضع الداخلي، وتحصين نفسها، وبعد قطع العلاقات الدبلوماسية بين الدول؛ تأتي مرحلة إعلان الحرب. والحرب قتال مسلح بين دولتين، أو أكثر تسعى لتغليب وجهة نظر سياسية بالقوة.

وقد يسبق إعلان حالة الحرب، قطع العلاقات بين الدول، وطردها الدبلوماسيين، ورد الهدايا، وتسخير وسائل الدعاية والإعلام بالتهديد، والتلميح باستخدام القوة؛ إن لم يستجب لمطالب الدولة المعلنه. لأن التهديد باستخدام القوة العسكرية يعد من أهم خطوات إدارة الأزمات الدولية، ولقد استخدم نبي الله سليمان عليه السلام هذه الاستراتيجية مع ملكة سبأ؛ فحينما أتته اخبارها، وعلم من حالها ما علم رد هديتها إليها، وهددها بالحرب.

يقول القرطبي: إن سليمان عليه السلام لم ينظر إلى هديتها، بل أعرض عنها، وقال لأمير الوفد ارجع إليها بالهدية؛ فلنجعلها حربا لا طاقة لهم عليها، ولنخرجهم من أرضهم، مهانون أذلاء؛ إن لم يسلموا^(٣٤).

وإعلان الحرب عرف دولي منذ القدم، فما زالت الدول بعد توتر العلاقات، ورد المجاملات؛ تلجأ إلى إعلان الحرب فيما بينها. ولقد أيد القانون الدولي العام ضرورة إعلان الحرب في اتفاقية لاهاي الثالثة، المنعقدة بتاريخ ١٨ تشرين الأول عام ١٩٠٧م. ولا بد من الإشارة إلى مسألة مهمة، وهي إن الإسلام جاء بالجهاد في سبيل الله، والقتال لحماية الدعوة إلى الله إذا

وقف أحد في سبيلها، والدفاع عن النفس والعرض والمال والوطن، وهو صنف من أصناف الجهاد؛ وأما الحرب فليست من مصطلحاتنا بدليل قول الله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

ويأتي إعلان الحرب في القانون الدولي على شكلين:

- ١- الإعلان الفوري، الذي يجب أن يكون معللاً من الناحية المبدئية.
- ٢- الإعلان المشروط بطريقة الإنذار، وهو إخطار يصاغ بعبارات حاسمة، ويوجه إلى إحدى الدول بغية الحصول منها خلال مدة وجيزة على عدد من الترضيات؛ كالقيام بأعمال معينة، أو الامتناع عنها؛ وإلا نشأت تلقائياً حالة الحرب، فور انتهاء مهلة الإخطار^(٣٥).

ويجب أن يكون هناك إشعار للدولة قبل إعلان الحرب عليها، ما لم تباشر تلك الدولة حالة الحرب، أو تقوم بنقض العهود والمواثيق المبرمة؛ فإن فعلت ذلك فلا إشعار، بل يجب التصدي للعدوان، ودحره؛ وإلا فلا بد من الإنذار والإشعار. ويتمثل هذا الإشعار في قصة سليمان عليه السلام؛ بإرسال كتاب مع الهدد إلى ملكة سبأ وقومها، يدعوهم إلى الدخول في الإسلام، وترك عبادة الشرك. قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٢٩ و ٣٠].

ورسالة الإنذار عادة ما تكون موجزة، ومتمضنة لأهم الأهداف، والسياسات التي تتبناها الدولة وتنود عنها. وهذا ما اشتمل عليه كتاب سليمان عليه السلام. يقول الإمام الرازي: إن الانبياء عليهم السلام لا يطيلون، بل يقتصرون على المقصود، وهذا الكتاب مشتمل على تمام المقصود، وهو على وجازته يحوي كل ما لا بد منه في الدين والدنيا^(٣٦). وإشعار الدولة قبل إعلان الحرب عليها مبدأ من مبادئ الجهاد في الشريعة الإسلامية، ويتمثل بدعوتها للإسلام، ولهذا فلم يقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما إلا دعاهم للإسلام. فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: لما قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما حتى يدعوهم^(٣٧).

وعن سليمان بن بريدة، عن أبيه قال: {كان رسال الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميراً على جيش، أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً. ثم قال: اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله. اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدة، وإذا لقيت أعداءك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال، أو خلال؛ فأيتهم ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم؛ ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم الذي يجري على المسلمين، ولا يكون لهم في الفء والغنيمة شيء؛ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين؛ فإن هم أبو فسلمهم الجزية؛ فإن أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، وإن أبوا فاستعن بالله عليهم وقاتلهم^(٣٨).

وكان سلمان الفارسي رضي الله عنه يرشد المسلمين، ويعلمهم حينما توجه لقتال المشركين في بلاد الفرس، وكان يقول لمن معه: {كفوا حتى أدعوهم كما كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم؛ فأتاهم فقال: إنا ندعوكم إلى الإسلام، فإن أسلمتم فلکم ما لنا، وإن أبيتم فأعطونا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإن أبيتم قاتلناكم^(٣٩).

وقد أغار الرسول صلى الله عليه وسلم على بعض الأقوم ولم يندهم، ولم يشعرهم؛ وذلك لأنهم كانوا في حالة قتال مع المسلمين، أو لأنهم نقضوا عهودهم، وغدروا بالمسلمين. ثم إن الدعوة قد بلغتهم وعرفوا الإسلام؛ كما هو الحال مع يهود بني قريظة، وبني المصطلق، وقريش حين فتح مكة...^(٤٠). وبناء على ما سبق فقد اختلف الفقهاء في حكم إبلاغ الدعوة، أو (إنذار العدو) على ثلاثة آراء:

الأول: يجب قبل القتال تقديم الدعوة الإسلامية مطلقاً، سواء بلغت الدعوة العدو أم لا، وبه قال المالكية^(٤١).
الثاني: وذهب قوم إلى أنه لا يجب ذلك مطلقاً، وهو رأي قوم كالحنابلة^(٤٢).
الثالث: تجب الدعوة لمن لم يبلغهم الإسلام؛ فإن انتشر الإسلام وظهر كل الظهور وعرف الناس لماذا يدعون، وعلى ماذا يقاتلون؛ فالدعوة مستحبة تأكيداً للإعلام والإنذار، وهذا رأي جمهور الفقهاء من الحنفية^(٤٣)، والشافعية^(٤٤)، والحنابلة^(٤٥)؛ للأدلة السابقة. ويجب أن لا تؤثر حالة تجديد الدعوة لهم قبل القتال تأثيراً سلبياً على قدرة الجيش واستعداده.
يقول ابن قدامة: يحتمل أن الأمر بالدعوة كان في بدء الأمر قبل انتشار الدعوة، وظهور الإسلام؛ فأما اليوم فقد انتشرت الدعوة، فاستغنى بذلك عن الدعاء عند القتال، كما قال أحمد، ويحتمل أن يحمل الأمر بالدعوة في حديث بريرة على الاستحباب؛ فإنها مستحبة في كل حال^(٤٦).
وقد **يعترض** على سياسة الدعوة قبل القتال بالقول: إن حروب اليوم قائمة على عنصر السرعة، والمفاجأة، وهذه الأشياء لا تتناسب مع الدعوة قبل القتال؛ لأن في دعوتهم إخبار لهم بالحرب، فيسبقوننا إليها، ونكون في صالحهم.
ويرد على هذا الاعتراض؛ بأن أساس الجندية في الإسلام الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية العادلة، وبما أن الأمر قد ورد بالدعوة لمن لم تبلغهم؛ فيجب الالتزام بذلك. ومن ثم تدارس الأمر من جميع جوانبه، للخروج باستراتيجية تحفظ الأمة، وتحقق أهدافها، ولا تتعارض مع أحكام الشريعة. فضلاً عن انتصار الإسلام بالرعب الذي يقذفه الله تعالى في قلوب أعدائه، قال رسول الله ﷺ: (نصرت بالرعب)^(٤٧)، وبناءً عليه فإن الاعتراض يسقط.

المبحث الثاني

علاقة الدولة الخارجية في حالة السلم في ضوء قصة سليمان مع ملك سبأ

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أحكام الأمان لرسول الدول والسفراء.

المطلب الثاني: مدى الاهتمام برسول الدول والسفراء.

المطلب الأول: أحكام الأمان للرسول والسفراء:

قال تعالى على لسان سليمان عليه السلام: ﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْفَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظَرُ مَاذَا يَرْجِعُونَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٢٨ و ٢٩ و ٣٠].
إن الوسائل الدبلوماسية تعد من أهم الوسائل الدولية لإدارة الأزمات السياسية^(٤٨)؛ وقد سبق الإسلام جميع القوانين الدولية لإقامة علاقات سياسية، وعلى أساس تلك العلاقات ينشأ مرسوم "بروتوكول" إرسال واستقبال الرسل والسفراء؛ أو ما يسمى بمبدأ التمثيل الدبلوماسي.

وأصل ذلك النظام، ومستنده في الإسلام فكرة **عقد الأمان**، ذلك العقد الذي يقتضي ترك القتل والقتال مع الحربيين، وعدم استباحة دمهم أو أموالهم أو استرقاقهم، والالتزام الدولة الإسلامية بتحقيق حالة الأمن والحماية لمن لجأ إليها من هؤلاء الحربيين^(٤٩)؛ فهذا العقد يتيح للرسول والسفراء إتمام عملهم ضمن حدود الدولة الإسلامية، على أن لا يتعارض هذا العمل مع مبدأ سيادة الدولة، ولا يضر بمصالحها.

ولقد كان لمبدأ التمثيل الدبلوماسي حضور واضح في قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، فقد كتب لها كتاباً؛ فيه من

الفصاحة والقوة وأدب المراسلة. ما يجعله بمثابة أوراق رسمية، ومستندات يحملها السفير؛ لتسير الدولة بمقتضاها في تحديد علاقاتها الخارجية.

لقد وصفت ملكة سبأ كتاب سليمان بأنه كريم لكونه من عند عظيم في نفسها فعظمته إجلالا له؛ لاشتماله على كلام حسن، وقيل لكونه كان مختوما بخاتم سليمان ﷺ^(٥٠). وعلى كل فالكتاب بمثابة أوراق اعتماد، يقدمها السفراء عادة إلى رؤساء الدول المعتمدين لديها، والتي تتضمن كافة البيانات الخاصة برئيس البعثة الدبلوماسية؛ كاسمه، ومرتبته، وصفته، والهدف من بعثته، وعادة ما تختتم بعبارات المجاملة؛ كرجاء حسن القبول.

أدلة حماية رسل الدول والسفراء في الإسلام:

لقد قامت الأدلة في الشريعة الإسلامية على مشروعية عمل الرسل والسفراء؛ إضافة لما جاء في قصة سليمان ﷺ، والتي منها:

١) قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]. فإنما شرع أمان هؤلاء؛ ليعلموا دين الله، وتنتشر الدعوة إلى الله تعالى بين عباده. ومن هنا كان رسول الله ﷺ يعطي الأمان لمن جاءه مسترشداً، أو رسولا يحمل رسالة^(٥١). فإن هذا السفير؛ إنما وفد إلينا لأمر سياسي هام، فيجب أن يمنح له الأمان؛ ليتمكن من إتمام مهمته.

ولهذا اتفق العلماء على وجوب توفير الحماية والأمن للرسل، والسفراء. يقول الإمام القرطبي: ولا خلاف بين كافة العلماء أن أمان السلطان جائز؛ لأنه مقدم للنظر والمصلحة، فهو نائب عن الجميع في جلب المنافع ودفع المضار^(٥٢). لأنه لما كان عملهم يتطلب منهم التردد على الدولة؛ وجب عليها أن توفر لهم الحماية الكافية طيلة مدة إقامتهم، وحتى إتمامها، أو انتهاء تلك المدة.

٢) وعن أبي رافع أنه قال: بعثتني قريش إلى رسول الله ﷺ فلما رأيت رسول الله ﷺ ألقى في قلبي الإسلام، فقلت: يا رسول الله، إني والله لا أرجع إليهم ابدان فقال رسول الله ﷺ: [إني لا أخيس بالعهد، ولا أحبس البرد، ولكن أرجع؛ فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن فارجع] قال: فذهبت، ثم أتيت النبي ﷺ؛ فأسلمت^(٥٣). والبرد، هم الرسل والسفراء، جمع برید، وتعليقا على ذلك يقول الإمام الخطابي: إن الرسالة تقتضي جوابا، والجواب لا يصل إلى المرسل إلا مع الرسول بعد انصرافه؛ فصار كأنه عقد له العقد مدة مجيئه ورجوعه^(٥٤).

٣) أرسل رسول الله ﷺ مجموعة من الرسل، والسفراء الذين يحملون الدعوة؛ ليقوموا بإبلاغها إلى كثير من الزعماء، والحكام المعروفين في ذلك الوقت، وبعث مع كل رسول منهم رسالة مختومة.

فبعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري سفيرا إلى النجاشي ملك الحبشة، وأرسل معه رسالة، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك مصر، وأرسل معه رسالة، وبعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس، وأرسل معه رسالة.. الخ^(٥٥).

كما استقبل الرسول ﷺ بعض السفراء الموفدين؛ كاستقباله لرسولي مسيلمة الكذاب، وأمنهم على حياتهم، ولما قال لهما: أشهدان أني رسول الله؟ قالوا: نشهد أن مسيلمة رسول الله؛ فقال الرسول ﷺ: [أمنت بالله ورسوله لو كنت قاتلا رسولا لقتلتكما]^(٥٦).

فالشريعة الإسلامية قد خطت نهجا واضحا أمام البشرية أن الرسل والسفراء لا يقتلون، ولا يتعرض لهم بسوء؛ بل يكرمون غاية الإكرام. وعلى أثر الشريعة الإسلامية سارت النظم الوضعية، واقتضت من قوانين الإسلام ما نسبته لنفسها بعد تعديلات

طيفة؛ فأنشأت الاتفاقيات الدبلوماسية المتعلقة بهذا الشأن. ومن أهمها اتفاقية فينا لسنة ١٣٨١هـ/١٩٦١م التي منحت الحصانة للمبعوثين الدبلوماسيين.

(٤) ولأن الحاجة تدعو لهذا الصنيع، كما يقول ابن قدامة: فلو أننا قتلنا رسلهم لقتلوا رسلنا؛ فتقوت المصلحة من المراسلة^(٥٧). لذلك فقد أباح فقهاء الشريعة للرسول والسفراء دخول الدولة، بإباحة غير متوقفة على إذن الحاكم، أو نيل أمان منه؛ لأهمية عمل هؤلاء القوم. فهم يعملون في كل الظروف والحالات الطارئة، وهم الذين ينهضون بالعلاقات الإيجابية بين الأمم، ويخففون من حدة التوترات، والأعمال العدوانية. فأمانهم يثبت بمجرد دخول أرض الدولة؛ خاصة إذا دل على ذلك ما معهم من أوراق، ومستندات يحملونها.

يقول الإمام أبو يوسف: إن الولاة إذا ما لاقوا رسولا يسألونه عن اسمه؛ فإن قال أنا رسول الملك، بعثني إلى ملك المسلمين، وهذا كتاب معي؛ فإنه يصدق، ولا سبيل عليه، ولا يتعرض له^(٥٨).

المطلب الثاني: مدى الاهتمام بالرسول والسفراء في الإسلام:

اهتمت الشريعة الإسلامية بالرسول والسفراء اهتماما كبيرا، ودعت إلى نهوض طائفة من الأمة للقيام بهذا العمل الهام، وأحاطتهم بالعناية، سواء من حيث الاختيار والتعيين، أو من حيث الحماية والتحصين؛ فأما من حيث التعيين، فيجب أن تتوفر في من يقوم بهذه المهمة العظيمة بعض الصفات، والتي منها:

(١) الصفات الجمالية الحسية: فلأنهم يقدون على الملوك، والأمراء، وكبار القوم؛ فيخبرونهم بأمر عظيمة، وقضايا حساسة؛ فيجب أن تكون صورتهم مقبولة، كي تقبل رسالتهم. لذلك فقد أحاط الخلفاء، والأمراء هذا الشأن كل عناية، فاشتروا فيهم حسن المظهر، وجمال الصورة، والنظافة والسلامة من العلل المنفرة، وقالوا في ذلك: يجب أن يكون السفير ممن يتوفر فيه، كمال القد وعبالة الجسم، حتى لا يكون قميئاً ولا ضئيلاً... الخ^(٥٩)، وما ذلك إلا لأنه يلفت عيون الزعماء، والأقوام الذين أرسل إليهم؛ فيملاً عيونهم المتشوفة إليه، فلا تقتحمه الأبصار ولا تستصغره^(٦٠).

(٢) الصفات المعنوية الإيجابية: وهي الصفات التي لا غنى للسفير عنها، فيما يتعلق بمهمته؛ كالذكاء والفتنة، والشجاعة والحلم والعلم والصبر، واللباقة والمرونة وحضور البديهية، والصدق والعدالة والنزاهة، والبعد عن مواقع الزلل، ومكامن الشبهات، والدقة والسرعة في التنفيذ، وسلامة الإنجاز... الخ

فهذا السفير، والمبعوث السياسي إنما ينقل صورة دولته، وطباع قومه وعاداتهم، ويتعرض لمواقف دقيقة وحرارة أثناء مهمته؛ فيجب أن يكون حكيماً في تصرفه، مرناً في موافقه. ولهذا فإنه لا يصلح أي شخص لهذه المهمة، ولأجل اختيار الأفضل تسعى النظم السياسية لعمل اختبارات، وإجراء مسابقات يخضع لها من يتم اختياره لذلك؛ وفقاً لمجموعة من المقاييس. حيث يتم تعيينهم في أول درجات السلك الدبلوماسي، والهدف من كل ذلك اختيار أفضل الأشخاص^(٦١).

أما عن طريقة الاختيار في الشريعة الإسلامية، فلا مانع من أن تكون بنفس الطريقة التي تعتمد الاختبارات، والمسابقات، والمقابلات الشخصية كما في الأعراف السياسية. لكن الأفضل والأكثر سلامة للنفس والدين، والأبعد عن الشبهة، والأكثر إخلاصاً أن يتم اختيار السفراء عن طريق تركبتهم من قبل العلماء الربانيين، والحكام العادلين.

(٣) البعد عن المعاصي والتحرز من الصفات السلبية التي تخدش الحياء، وتضعف المرؤة؛ فالمعاصي والمنكرات من الأمور المحذورة على المسلمين، وهي أشد حذراً على من يتصدى لمهمة تمثيل الأمة، ولذلك قال فقهاء السياسة الشرعية: يجب التحذير من شرب الخمر؛ لأنها تفضح شاربها، وتطلع القوم على أسرار الدولة، ويقاس على ذلك غيرها من الآثام. كما حذروا

من الميل للنساء؛ لأنهن حيلة بارعات، بهن يمكن استخراج الأخبار من الصدور^(٦٢). ويلحق بذلك كل ما يقلل من شأن السفير، ويضعف هيئته؛ فلا ينبغي له التردد على الأماكن المشبوهة، والمحدورة، ولا ينبغي إضاعة الوقت والجهد فيما لا فائدة فيه.

وقصة سليمان ﷺ مع ملكة سبأ زخرة بالأحداث التي تدل على القيم الجميلة، والصفات الطيبة، التي لا غنى للمبعوثين والسفراء عنها، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتًا يَقِينٌ﴾ [النمل: ٢٢].

أي قال الهدد لسليمان ﷺ: علمت ما لم تعلمه من الأمر؛ والإحاطة هي العلم بالشيء من جميع جهاته^(٦٣). فالعلم الذي اكتسبه الهدد كان كفيلا ببراعته، وتخليصه من العذاب الشديد، الذي توعد به سليمان ﷺ.

ولما علم سليمان من شأن ملكة سبأ ما علم؛ أراد استكشاف الأمر، وأمر بإرسال رسالة لها، وكلف الهدد بحمل الرسالة والقيام بأعمال استخباراتية هامة؛ لأنه رأى منه من مزايل الفهم والعلم ما يقتضي كونه أهلا لحمل الرسالة والقيام بتلك الأعمال، ودليل ذلك أن الهدد أدرك أن هذه ملكة وأن هؤلاء رعية؛ لأنهم يسجدون للشمس، فهو يدرك أن السجود لا يكون إلا لله تعالى الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض، فلذلك كلفه سليمان ﷺ بهذه المهمة، وقال له: ﴿أَذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلِّقْهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل، الآية ٢٨]. أي تأمل وتفكر فيما يرجع بعضهم إلى بعض من القول، وما يراجعونه من الكلام^(٦٤).

كما أمره بالتحي جانباً بعد إلقاء الرسالة، وهذا عمل استخباراتي ودبلوماسي في نفس الوقت، وهو أدب من أحسن الآداب التي يتأدب بها رسل الملوك؛ كما يقول الشوكاني في تفسير هذه الآية الكريمة. فالسفير، وكل من له اهتمام بهذا المجال، يجب أن يعلم طباع الحكام وعاداتهم، وما يسرهم، وما يزعجهم؛ فيتصرف ببينة.

ومن بين تلك الصفات الجميلة، صفة الصدق والحلم، فإن الهدد لما صدق سليمان ﷺ بسبب غيئته، وكان الصدق من أخلاقه التي جبل عليها؛ كان ذلك داعياً لاختياره لهذه المهمة العظيمة، مهمة السفارة وتحمل تبعاتها. وكذلك الحلم والصبر ورباطة الجأش؛ فإن الهدد تلقى خبر التهديد بهدوء تام، وقدم حجته الواضحة المدعمة بالأدلة الساطعة، ولم يكذب أو يلجأ للخيانة أو يغضب أو يضطرب حين الإجابة.

ولما عاد الهدد من مهمته الاستكشافية، وتحمل في سبيل ذلك الشيء الكثير، وقدم المعلومة المهمة لسليمان ﷺ، والتي كانت حدثاً جليلاً؛ تتمثل في وجود من يعبدون آلهة دون الله تعالى. قال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ {٢٣} وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل، الآيتان ٢٣ و ٢٤]. فمن يتصدى للسفارة، وتمثيل دولته؛ ينبغي أن يخلص في الخدمة، ويتحمل في سبيل ذلك الجهد، والعناء، والتعب والمشقة بنفس راضية؛ لأنه يقدم خدمة جلية لأتمته، إذ المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة عند التعارض.

ومما يدل على الدقة، وسرعة تنفيذ الأوامر والقرارات، قال الله تعالى: ﴿فَمَكَتْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتًا يَقِينٌ﴾ [النمل، الآية ٢٢]. فلما علم الهدد أنه مطلوب، استجاب فوراً وأتى مسرعاً، حيث وصف مكته بقصر المدة للدلالة على إسرعه خوفاً من سليمان علي السلام، كما يقول الرازي^(٦٥). فالدبلوماسي يستجيب دائماً، وفي كل الأحوال للأوامر والقرارات التي يتلقاها من دولته، ويقوم بتنفيذها على وجه السرعة؛ لما في ذلك من خدمة لتلك الدولة التي يمثلها.

أما دلالة قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل، ٤٢]. أي: فلما وصلت ملكة سبأ، عرض عليها ذلك العرش الذي تركته، ووجه إليها ذلك السؤال، وقد كانت لبقة فأجابت إجابة مرنة^(٦٦). لقد فوجئت الملكة حينما رأت عرشها، وكانت المفاجأة ضخمة لا تخطر لها على بال، ولكنها مع ذلك لم

تتف أنه هو، ولم تقل أنه هو، وقد انتهت إلى جواب أريب، قالت: كأنه هو، لا تتفي ولا تثبت، وتدل على فراسة وبديهة في مواجهة المفاجأة العجيبة^(٦٧). وهكذا ينبغي على السياسي، والمبعوث الدبلوماسي أن يتأني قبل إصدار الأحكام والبيانات، فيختبرها، ويدرك أبعادها؛ لأن أي كلمة، أو موقف يصدر منه، قد يؤدي لسياسات ضارة على دولته.

المبحث الثالث

المراسيم والحمايات المتعلقة بالسفراء (البروتوكولات والحصانات)

المطلب الأول: مراسيم الأعراف الدبلوماسية.

المطلب الثاني: حصانة الدبلوماسيين.

المطلب الأول: مراسيم الأعراف الدبلوماسية:

تقضي الأعراف الدبلوماسية في حالة استقبال السفراء، والمبعوثين السياسيين أن تتخذ الخطوات الآتية:

(١) الاستقبال البهيج، فعادة ما تستقبل الدول السفراء المعتمدين لديها استقبالا يظهر أهميتها بهم؛ لأن في ذلك اهتماما بدولهم، مما يؤسس لعلاقات قوية بين البلدين. وهكذا كان الأمر في الدولة الإسلامية، فبداية كان رسول الله ﷺ، يستقبلهم باحتفال ينم عن تقديره لهم؛ فكان يتجمل، ويلبس أحسن ثيابه، ويتطيب لهم، وكان يستقبلهم في أعظم مكان عنده، وكان ذلك في المسجد الجامع، و أحيانا ينطلق بهم إلى بيته، وغالبا ما كان ينزلهم في بيوت أصحابه؛ كما أنزل وفد بني حنيفة، حين قدموا عليه دار بنت الحارث، وهي امرأة من الأنصار^(٦٨)، ثم سار الخلفاء الراشدون من بعده على هذا الأمر.

وفي عهد الدولة العباسية زاد الاهتمام باستقبال الرسل والسفراء، فكان الخليفة منهم، يكلف مجموعة من الجنود الذين يعدون لهذا الشأن، ويأمرهم بالخروج لاستقبال السفراء، والإحاطة بهم، وحمايتهم، وتأمين المراكب والإقامات لهم^(٦٩).

وهكذا جرت الأعراف على حسن استقبال الوفود، فكانت الاحتفالات تقام لهم وفق المراسم، والعادات المقبولة عند المسلمين. كما كان سفراء الدولة الإسلامية يحترمون تقاليد الدول التي يفدون إليها، ولا يخرجون عنها إلا إذا كانت تتعارض مع الشريعة الإسلامية؛ كعادة السجود للحكام والملوك، ومصافحة النساء.

وعلى ذلك دأبت المراسيم، والعادات بين الدول؛ فحينما يتم استقبال المبعوثين السياسيين، والدبلوماسيين؛ تلجأ الحكومات عادة لتعيين بعثة شرف؛ تقوم باستقبال هؤلاء المبعوثين، وتبقى ملازمة لهم، حتى تنتهي مدتهم، أو تؤمن إقامتهم إن كانوا سفراء مقيمين، ثم بعد زمن من الاستقبال يلتبس لهم مقابلة رئيس الدولة؛ لتقديم أوراق الاعتماد، أو الرسالة.

وبخصوص هذا البروتوكول السياسي، يقول علماء السياسة الشرعية: يجب أن ينبه على عمال الحدود؛ بأن يرسلوا حال قدوم أي شخص خيالا فورا؛ ليخبر عن من هو قادم، والمهمة التي هو آت من أجلها. كما يجب أن ينتدبوا شخصا ممن يوثق بهم، ويعتمد عليهم؛ لمرافقتهم، وإيصالهم إلى إحدى المدن المعروفة، ثم تحويلهم إلى ولاية الأمر فيها، إلى أن ينتهوا إلى القصر، وأن يكرموا وفادتهم، ويحسنوا معاملتهم^(٧٠).

(٢) تقديم أوراق الاعتماد، فبعد حفل الاستقبال تأتي مرحلة تقديم أوراق الاعتماد. فحين وصول البعثة الدبلوماسية، يقوم رئيس البعثة بطلب موعد لمقابلة رئيس الدولة، وعادة ما يكون بعد إشعار وزير الخارجية، كما تقضي بذلك الأعراف الدبلوماسية، ومن ثم تقديم صورة من خطاب الاعتماد، ثم يحدد موعد لمقابلة رئيس الدولة، لتقديم أصل الخطاب بين يديه^(٧١). ويمثل هذا سار العمل وجرت الأعراف في الدولة الإسلامية، وذلك بأن يمثل الرسول بين يدي السلطان، ويسلم الرسالة وينقل ما كلف

٣) بنقله من أخبار، ثم ينزل بالمكان الذي أعد له: وأوراق الاعتماد هي البيانات والمعلومات والسجلات المهمة التي يزود بها رئيس البعثة الدبلوماسية؛ كالبيانات الخاصة باسمه، ومرتبته، وصفته، والغرض من بعثته^(٧٢). فهي كافية لمعرفة الدبلوماسي، ولتحديد الغرض الذي بعث من أجله، ولذلك فإن لها قيمة عظمى بين الأوساط السياسية.

وللدلالة على أهمية أوراق الاعتماد في الشريعة الإسلامية جعلها الفقهاء أماناً لمن يحملها من السفراء، وإن لم يتلقوا أماناً خاصاً من الدولة، وذلك بمجرد دخول هذا المبعوث السياسي أرض الدولة؛ فإنه يثبت له الأمان، إذا أثبت أنه سفير من قبل دولته؛ كأن يخرج كتاباً، أو وثيقة يثبت فيها الهدف من قدومه^(٧٣).

وفي قصة سليمان ﷺ مع ملكة سبأ بيان لأهمية هذه الأوراق التي يحملها السفراء والمبعوثون، ومدى التقدير الذي يكنه الملوك لها. قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل، الآيتان ٢٩ و ٣٠]. وقد وصفته بذلك؛ لما تضمن من لين القول والموعظة في الدعاء إلى عبادة الله ﷻ، وحسن الاستعطاف والاستئطاف من غير أن يتضمن سباً ولا لعناً، ولا ما يغير النفس، ومن غير كلام نازل ولا مستغلق؛ على عادة الرسل عليهم السلام في الدعاء إلى الله ﷻ^(٧٤).

ومن الأعراف الشائعة بين الدول في هذا المجال المبالغة في إكرام المبعوثين الدبلوماسيين، وإحاطتهم بالمنح والهدايا؛ لنيل رضاهم وكسب ودهم، لينقلوا صورة حسنة عن ذلك البلد وتلك الحكومة، ولقد اعتبرت اتفاقية فينا لسنة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م؛ إن الهدايا التي تمنح عادة للدبلوماسيين، معفاة من الرسوم والضرائب.

والشريعة الإسلامية قد سبقت الشرائع الوضعية في هذا الاتجاه؛ فشجعت على تقديم الهدايا والجوائز للرسل والسفراء، أو لمن كلفتهم دولهم بهذه المهمة. فكان رسول الله ﷺ يحسن وفادة الوفود ويحسن جوائزهم، وكان يعتذر للرسل والوفود بطيب القول، وحسن العبارة حين لا يجد ما يقدمه لهم. فقد ورد أن التتوخي رسول هرقل قدم على رسول الله ﷺ وهو في تبوك؛ فقال رسول الله ﷺ معتزراً له من عدم وجود هدية أو جائزة يجيزه بها: [إن لك حقاً وإنك لرسول، فلو وجدت عندنا جائزة جوزناك بها إنا سفر مرملون، قال: . راوي الحديث . فناداه رجل من طائفة الناس، قال: أنا أجوزه ففتح رحله فإذا هو يأتي بحلة صفورية فوضعها في حجره، قلت: من صاحب الجائزة قيل لي عثمان]^(٧٥).

ولقد اهتم الرسول ﷺ بهذا الأمر، لما له من أهمية عظيمة في تمتين العلاقات وتقويتها، حتى إنه أوصى بذلك قبيل وفاته؛ فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: [أوصى رسول الله ﷺ عند موته بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفود بنحو ما كنت أجيزهم ونسيت الثالثة]^(٧٦) وما هذا الاهتمام بهذا النفر من الناس؛ إلا ليشعروا بالأمن والطمأنينة والتقدير، كي يقوموا بمهامهم خير قيام؛ لأنها أساس التعاون والعلاقات الطيبة بين الدول.

وفي قصة نبي الله سليمان ﷺ مع ملكة سبأ، يظهر مدى الاهتمام بأمر الهدية، وكيف يستخدمها السياسيون في تقريب وجهات النظر، وتلطيف الأجواء، والتخفيف من التوترات المشحونة، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥]. أي قالت ملكة سبأ: إني أجرب هذا الرجل بإرسال رسلي إليه بهدية مشتملة على نفائس الأموال؛ فإن كان ملكاً أرضيناه بذلك وكفيناه أمره، وإن كان نبياً لم يرضه ذلك؛ لأن غاية مطلبيه، ومنتهى أمره الدعاء إلى الدين، فلا ينحينا منه إلا إجابته، ومتابعته والتدين بدينه، وسلوك طريقته، ولهذا قالت: فناظرة بم يرجع المرسلون؛ أي إني ناظرة فيما يرجع به رسلي المرسلون بالهدية من قبول أو رد؛ ففاعلة بما يقتضيه ذلك^(٧٧). إذ الهدية تقع من القلب بموضع، فكيف إذا كانت تلك الهدية من مسؤول رفيع المستوى، وكيف إذا كانت عظيمة في نظر الناس!؟

يقول الإمام القرطبي: الهدية مندوب إليها، وهي مما تورث المودة وتذهب العداوة، ومن فضل الهدية، فوق أنها من

السنة؛ إنها تزيل حزازات النفوس، وتكسب المهدي، والمهدي إليه رنة في اللقاء والجلوس^(٧٨). هذا وإن كان يبتغى من وراء الهدية شراء ذمة المبعوث، أو السفير، أو الدبلوماسي؛ كأن يقدم لهم معلومات، وأعمال هامة تضر بأمن الدولة، أو تضر بعقيدها؛ فإن الهدية لا تجوز؛ بل تعد خيانة. ولهذا فإن سليمان عليه السلام رد هدية تلك الملكة ولم يقبلها؛ لأنها أرادت بهديتها مصانعة سليمان عليه السلام، للبقاء على الشرك. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتَمِدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٦].

المطلب الثاني: حصانة الدبلوماسيين:

أجمعت الأعراف الدولية على أهمية وجود السفراء والمبعوثين بين الأمم، ولهذا منحهم بعض الامتيازات والضمانات الخاصة، التي لا غناء لهم عنها، حتى يقوموا بعملهم على أكمل وجه، ودون تعطيل؛ فكانت اتفاقية فينا لسنة ١٩٦١م/١٣٨١هـ، ومن قبل ذلك كانت أحكام الشريعة الإسلامية، ممثلة بعقد الأمان، وإمكانية تجديده بحق الدبلوماسيين. وهذه الحصانات أو الامتيازات كما نصت عليها اتفاقية (فيينا) في النمسا لسنة ١٩٦١م، في المواد ٣١.٢٩ على ثلاثة أنواع: ١. الحصانة الشخصية ٢. الحصانة المالية ٣. الحصانة القضائية:

أما الحصانة الشخصية فمن أهم الحصانات الممنوحة، وهي أقدم أنواع الحصانات الثابتة للرسول والسفراء، وهي فوق حمايتهم من القتل والجراح، تشمل أيضا حمايتهم من كل أنواع الأذى؛ فلا يجوز تعريضهم للإهانة، والأذى النفسي، ولا يجوز التضييق عليهم، ومداومة منازلهم، وأخذ وثائقهم. ومن الحصانة الشخصية، السماح لهم بحرية السفر والتنقل في إقليم الدولة^(٧٩).

والشريعة الإسلامية ترعى الحصانة الشخصية للرسول والسفراء، وتقدرها حق تقدير، وقد عرف ذلك الحق من خلال عقد الأمان الممنوح لهم أثناء مناقشة أدلة حماية الرسول والسفراء.

ولقد ظهرت بعض هذه الحصانات بارزة للبيان في قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، كما في قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ نَوَّلَ عَنْهُمْ فَاَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانُ قَالَ أَتَمِدُونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٥ و٣٦].

فإنها قد استقبلت الرسالة من الرسول بكل احترام وتقدير، وعظمت ذلك أيما تعظيم حينما وصفت الرسالة بالكتاب الكريم، ولم تؤذ الرسول أو تهدده.. وفي هذا إقرار للحصانة الشخصية للسفراء. وكذلك حينما ذهب رسل الملكة إلى سليمان عليه السلام بالهدايا الثمينة؛ فإنه اعتذر عن قبول هديتهم؛ لما في ذلك من شراء الذمة، لكي تبقى على الشرك، وهذا الأمر لا مهادنة فيه. ومع ذلك لم يقتلهم، أو يقيد حريتهم، أو يحبسهم أو يسلبهم أموالهم أو يصادرها منهم؛ بل عفا عنهم وردهم هم وأموالهم إلى بلادهم، وهذا إقرار للحصانة الشخصية والمالية لهم. وحول مبدأ الحصانة المالية يقرر الإمام أبو يوسف عرفا دوليا ثابتا في الشريعة الإسلامية، حيث يقول: لا يؤخذ من الرسول الذي بعث به ملك الروم ولا من الذي أعطى أمانا عشر^(٨٠).

وأما ما يتعلق بالحصانة القضائية، والتي تقضي بحماية السفراء والمبعوثين من الملاحقات المدنية والجزائية في الأعراف الدبلوماسية؛ فلا تطبق بحقهم تلك القوانين، ويمنعون من الخضوع لقضاء الدولة المضيفة وقوانينها^(٨١). أما الشريعة الإسلامية فإنها تقرر مسؤولية الرسول أو السفير عما ارتكبه من تصرف يخالف أحكام الشريعة، وذلك لأن حكم السفير تابع لحكم المستأمن في الإسلام؛ فهو يعامل بما يعامل به بقية أفراد الدولة في حالة ارتكابه للجرائم المختلفة، وبهذا الرأي قال الجمهور من فقهاء الشريعة، فلم يفرقوا بين الجرائم التي يرتكبها السفير، كونها خاضعة لحق العباد، أو لحق الله تعالى، بل

قالوا بالمساواة بينهما وأوجبوا العقوبة، وهؤلاء الفقهاء أبو يوسف من الحنفية^(٨٢)، وبعض المالكية^(٨٣)، والشافعي في قول^(٨٤)، والحنابلة^(٨٥). واستدلوا على ذلك بإطلاق النصوص، فكل مواطن في الدولة يخضع لتطبيقات النص في هذا المجال؛ فالمسلم ملتزم بإسلامه، والذمي والمستأمن، ملتزم بموجب عهد الذمة، وعقد الأمان. وذهب الإمام أبو حنيفة -رحمه الله-، ومحمد بن الحسن^(٨٦)، والشافعي في القول الأظهر^(٨٧)، وأحمد في رواية^(٨٨)، ووافقهم الإمام مالك في عقوبة الزنا^(٨٩) إلى إعفاء المستأمن، ومن في حكمه؛ كالسفير من تطبيق عقوبة الجرائم المتعلقة بحق الله تعالى عليه، وذلك كالزنا والسرقة... وحجتهم أن المستأمن؛ كالسفير وغيره، لم يدخلوا للدولة من أجل الإقامة والبقاء؛ بل لأجل حاجة يقضونها، أو رسالة يبلغونها، فلا تطبق عليهم هذه الأحكام^(٩٠). أما مسؤوليته مدنيا وجنائيا فيما يمس حقوق الأشخاص؛ كالقصاص والقذف والغصب فهو كبقية المسلمين في الدولة الإسلامية. ويرى الشيخ محمد أبو زهرة: إن العقوبات التعزيرية التي لم يرد فيها نص شرعي، يعفى منها السفير مجارة للعرف الدولي، ومراعاة لمبدأ المعاملة بالمثل^(٩١).

وقد يتبنى هذا الرأي الآن مسابرة للأعراف الدبلوماسية؛ ولأنه يتفق مع روح الشريعة، ومقصدها العام المتمثل في تحقيق الأمن، ودعوتها لحماية الأشخاص الذين يتولونه، وذلك فيما أرى.

ودلالة الحصانة القضائية في قصة سليمان مع ملكة سبأ، قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨]. فإن الهدد سفير سليمان عليه السلام قد تجاوز حراسات الملكة، واقتحم عليها قصرها، وأتاها في خلوتها، وألقى إليها الرسالة؛ وهذا أمر عظيم عند الملوك والساسة؛ لأنه يخدش راحتهم وأمنهم، ولا يفعل هذا أحد وينجو من العقاب الشديد. يقول ابن كثير: إن سليمان عليه السلام كتب كتابا إلى بلقيس وقومها، وأعطاه ذلك الهدد فحمله؛ كما هي عادة الطير، وذهب إلى بلادهم فجاء إلى قصر بلقيس إلى الخلو التي كانت تختلي فيها بنفسها، فألقاه إليها من كوة هنالك بين يديها، ثم تولى ناحية أدا ورياسة، فتحيرت مما رأت، وهالها ذلك، ثم عمدت إلى الكتاب فأخذته ففتحت ختمه، وقرأته^(٩٢). فخصية السفير كما يمثلها الهدد؛ يجب أن تخضع للمساءلة، وتطبيق الأحكام على ما اقترفته من تجاوزات. لكن الذي منع من ذلك العرف السائد، والمتعلق بحصانة السفراء.

الخاتمة:

توصل البحث إلى عدد من النتائج الهامة، وهي:

- ١- من أهم أهداف الدبلوماسية الإسلامية التعريف بالإسلام ومبادئه وفضائله، والدعوة إليه.
- ٢- الأصل في الدبلوماسي الالتزام بنظام دولته وسياستها، فلا يخضع للمغريات والشهوات ولا ينفاد للأوهام والإشاعات.
- ٣- يتفق الإسلام مع النظم الدبلوماسية المعاصرة في منح السفراء الحصانة الشخصية والمالية، ولكنه يختلف معها في أمر الحصانة القضائية؛ فلا إعفاء للدبلوماسي من المسؤولية الجنائية؛ إلا العقوبات التعزيرية فيعفى منها مجارة للعرف الدولي.
- ٤- إن علاقة الدولة الخارجية في الأزمات والظروف الطارئة تستلزم امتلاك القوة العسكرية، للتلويح باستخدامها أمام الخصم لتحقيق سياسة الردع؛ كي ينفاد للطرق الدبلوماسية في حل الخلافات والأزمات السياسية.
- ٥- إن تعبئة الأمة ماديا ومعنويا يحقق لها القوة العسكرية التي تمكنها من إدارة مفاوضاتها وحل أزماتها الطارئة مهما كان العدو قويا.

- ٦- يتفاوت القادة في تطبيق الاستراتيجيات العسكرية والمهارات القيادية، ولهذا يجب على الأمة البحث عن القادة الأقوياء الأمناء؛ لأنهم عماد نهضتها وأساس قوتها.
- ٧- يقاس تقدم الدول ورفيها بمدى التزامها بالمبادئ الإنسانية السامية؛ ومن تلك المبادئ حماية الرسل والسفراء في أوقات الطوارئ والأزمات.
- ٨- السفراء والرسل هم قناع الأمة وصورتها، فيجب السعي لتجميل تلك الهيئة في عيون الآخرين، وهذا لا يكون إلا باختيار من يصلح لهذا العمل؛ وفق المعايير الشرعية.
- ٩- ما نرى من قصور في الأبحاث الشرعية المتعلقة بالعلاقات الدولية، يرجع لغموض هذا المعنى، وتقاعس الهمم وقصور النشاط عند الباحثين؛ لذا ينبغي تدارك هذا الأمر من قبل الجهات ذات العلاقة؛ كالجامعات ومراكز الأبحاث. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الهوامش:

- (١) بدوي، محمد طه، **مدخل إلى علم العلاقات الدولية**، دار النهضة العربية، بيروت، ص ٢٤.
- (٢) الشافعي، محمد، **إدارة الأزمات**، الناشر مركز المحروسة، ط ١، ١٩٩٩م، ص ١٠.
- (٣) علام النعنع، **التعبئة المعنوية في القرآن الكريم**، رسالة ماجستير من جامعة النجاح الوطنية، إشراف: د. محمد الشريدة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ٣٣.
- (٤) حالة الطوارئ، حالة استثنائية تتسلم فيها السلطة العسكرية إدارة شؤون البلاد عندما لا تستطيع السلطات المدنية متابعة مهامها؛ لقمع ثورة، أو فتنة، أو تمرد خطير، أو اعتداء خارجي. فتقوم هذه السلطة مقام السلطة المدنية في تنفيذ الإجراءات اللازمة لحفظ الأمن الداخلي، والإشراف على السلامة العامة والنظام العام، أو إعداد البلاد لصد الخطر الخارجي. **الموسوعة العسكرية**، ج ١، ص ٥٠٣.
- (٥) نور الدين، أحمد، **نظم إدارة الأزمات**، نشر الشركة العربية المتحدة للتسويق، القاهرة، ط ١، ٢٠١٠، ص ٣٣.
- (٦) الألويسي، شهاب الدين أبو الفضل محمود (ت ١٢٧٠هـ)، **روح المعاني**، دار الفكر، ج ١٠، ص ١٧٣.
- (٧) الرازي، فخر الدين (ت ٦٦٠هـ)، **التفسير الكبير . مفاتيح الغيب**، ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٢٤، ص ١٨٧.
- (٨) رواه الترمذي في **سننه**، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الصف والتعبئة عند القتال
- (٩) الشيرازي، أبو اسحق ابراهيم (ت ٤٧٦هـ)، **المهذب في فقه الإمام الشافعي**، طبعة دار الفكر، ج ٢، ص ٢٣٢.
- (١٠) الألويسي، **روح المعاني**، ج ١٠، ص ١٨٢.
- (١١) نور الدين، **نظام إدارة الأزمات**، ص ٩.
- (١٢) النسفي، عبد الله بن أحمد، **تفسير النسفي**، ج ٣، ص ٢١٣.
- (١٣) رواه الترمذي في **سننه**، كتاب الجهاد، باب فيمن يستشهد وعليه دين
- (١٤) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله.
- (١٥) الحديث أخرجه الإمام أحمد في **مسنده**، ج ٣، ص ١٣٧. وانظر: الحلبي، علي بن برهان الدين، **السيرة الحلبية**، ج ٢، ص ٤١١، وبخ كلمة تقال عند المدح، والرضى، وتكرر للمبالغة. انظر: الرازي، محمد بن أبي بكر (ت ٧٢١هـ)، **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان، بيروت، سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م، مادة بخ
- (١٦) النسفي، **تفسير النسفي**، ج ٣، ص ٢١٠. وانظر: راجح، **مختصر تفسير ابن كثير**، ج ٢، ص ١٦٨.

- (١٧) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، (ت ١٢٥٠هـ) طبعة دار الفكر، ج ٤، ص ١٣٢.
- (١٨) الشافعي، محمد، إدارة الأزمات، نشر الشركة العربية المتحدة للتسويق، ط ١، القاهرة، ص ١٠.
- (١٩) الرازي، التفسير الكبير، ج ٢٤، ص ١٩٧.
- (٢٠) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٣، ص ١٥٤.
- (٢١) نور الدين، نظم إدارة الأزمات، ص ١٩.
- (٢٢) منقح عليه، رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب من أراد غزوة. ورواه مسلم في كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب.. وورى: أي ستره وأظهر غيره، كأنه مأخوذ من وراء الإنسان؛ كأنه يجعله وراءه، حيث لا يظهر. الرازي، أبو محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٦م، مادة وري.
- (٢٣) النسفي، أحمد بن محمود، (ت ٧٩٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، تفسير النسفي، ج ٣، ص ٢٠٩.
- (٢٤) المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، ص ١٨٧.
- (٢٥) الألويسي، أبو الفضل محمود، روح المعاني، ج ١٠، ص ١٩٣.
- (٢٦) ابن سيد الناس (ت ٧٣٤هـ)، عيون الأثر، دار الفكر، ج ٢، ص ٦٥. والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب غزوة الأحزاب.
- (٢٧) ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، (ت ٥٤٣هـ) أحكام القرآن، دار الجبل، بيروت، طبعة سنة ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج ٣، ص ١٤٦٠.
- (٢٨) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ١٣٠.
- (٢٩) الجصاص، أحمد بن علي الرازي (ت ٣٧٠هـ)، أحكام القرآن، دار المصنف، القاهرة، مصر، ج ٢، ص ٣٣٠.
- (٣٠) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٤، ص ٢٢٥.
- (٣١) النووي، محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦هـ)، صحيح مسلم بشرح النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٤، ص ٧٦، حيث رجح الثوري القول بالوجوب.
- (٣٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، أبو العباس (ت ٧٢٨هـ)، السياسة الشرعية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ١٣٥.
- (٣٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٤، ص ٢٤٩.
- (٣٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ١٣٥.
- (٣٥) روسو، شارل، القانون الدولي العام، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، ص ٣٤٠.
- (٣٦) الرازي، التفسير الكبير، ج ٢٤، ص ١٩٤.
- (٣٧) أخرجه أحمد في مسنده، ج ١، ص ٢٣١.
- (٣٨) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث.
- (٣٩) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب السير، باب ما جاء في الدعوة قبل القتال.
- (٤٠) الزحيلي، وهبة، العلاقات الدولية في الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠١هـ ١٩٨١م، ص ٣٧.
- (٤١) العدوي، علي الصعيدي، حاشية العدوي، ج ٢، ص ٣١.
- (٤٢) ابن قدامة، المغني، ج ٨، ص ٣١١.
- (٤٣) الكاساني، علاء الدين أبوبكر بن مسعود (ت ٥٨٧هـ)، بدائع الصنائع، طبعة دار الكتاب العربي، ط ٢، بيروت، سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج ٧، ص ١٠٠.
- (٤٤) الشربيني، محمد الخطيب (ت ٩٧٧هـ)، مغني المحتاج، طبعة دار الفكر، ج ٤، ص ٢٢١.

- (٤٥) ابن قدامة، أبو محمد بن أحمد المقدسي (ت ٦٢٠هـ)، المغني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، طبعة سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج ٨، ص ٣٦٢.
- (٤٦) ابن قدامة، المصدر السابق.
- (٤٧) رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة.
- (٤٨) أبو هيف، علي، القانون الدولي العام، ص ٧٥٧.
- (٤٩) الشربيني، مغني المحتاج، ج ٤، ص ٢٣٦، والحطاب، مواهب الجليل، ج ٣، ص ٣٦٠.
- (٥٠) الشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ١٣٧.
- (٥١) راجح، مختصر تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٤٦٠.
- (٥٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٤، ص ٣١١.
- (٥٣) رواه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في الإمام يستجن به في العهود.
- (٥٤) العظيم آبادي، أبو الطيب محمد شمس (ت ١٣٢٩هـ)، عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الحديث، القاهرة، طبعة سنة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج ٥، ص ١٩٢.
- (٥٥) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص ٣٠٤. وابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٤٢.
- (٥٦) رواه أحمد في مسنده، ج ١، ص ٣٩٦.
- (٥٧) ابن قدامة، المغني، ج ٨، ص ٤٠٠.
- (٥٨) أبو يوسف، يعقوب بن ابراهيم، الخراج، مطبعة دار المعرفة، بيروت، ص ١٨٨.
- (٥٩) ابن الفراء، أبو يعلى محمد بن الحسين (ت ٢٥٨هـ)، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق صلاح الدين المنجد، ص ٣٣. والقد: القامة، والعبالة: الضخامة، والضئيل: صغير الجسم ونحيفه. انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت ٧١١هـ) لسان العرب مادة قد، عبل.
- (٦٠) ابن الفراء، رسل الملوك، ص ٢٠.
- (٦١) الشافعي، محمد بشير، القانون الدولي العام في السلم والحرب، ط ٣، مكتبة الجلاء الحديثة، مصر، ص ٤٥١.
- (٦٢) ابن الفراء، رسل الملوك، ص ٢٥.
- (٦٣) الشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ١٣٢.
- (٦٤) الألويسي، روح المعاني، ج ١٠، ص ١٩٣.
- (٦٥) الرازي، التفسير الكبير، ج ٢٤، ص ١٩٠.
- (٦٦) العدوي، محمد أحمد، دعوة الرسل إلى الله تعالى، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٥٤هـ/١٩٥٣م، ص ٣١٣.
- (٦٧) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٢٦٤٢.
- (٦٨) هارون، عبد السلام، تهذيب سيرة ابن هشام، المؤسسة العربية الحديثة للنشر، ط ٣، سنة ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م، ص ٣٥١.
- (٦٩) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر، (ت ٩١١هـ) تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ص ٣٨١.
- (٧٠) الطوسي، نظام الملك، (ت ٤٨٥هـ) سير الملوك، ترجمه عن الفارسية يوسف بكار، مطبعة السفير، عمان، ص ١٣٢.
- (٧١) أبو هيف، علي صادق، القانون الدولي العام، طبعة منشأة المعارف، الإسكندرية، سنة ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م، ص ٤٩٣.
- (٧٢) أبو هيف، علي، القانون الدبلوماسي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص ١١٦.
- (٧٣) ابن قدامة، المغني، ج ٨، ص ٥٢٣.
- (٧٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ١٢٨.
- (٧٥) رواه أحمد في مسنده، ج ٣، ص ٤٤٢.

- (٧٦) رواه البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، كتاب الجهاد والسير، باب جوائز الوفد.
- (٧٧) الشوكاني، فتح القدير، ج ٤، ص ١٣٧.
- (٧٨) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ١٣٣.
- (٧٩) فوق العادة، سموحي، الدبلوماسية الحديثة، ط ١، دار اليقظة، سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، ص ٢٧١.
- (٨٠) أبو يوسف. الخراج، ص ١٨٨.
- (٨١) بركات، جمال. الدبلوماسية ماضيها وحاضرها ومستقبلها، طبعة الرياض، سنة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ١٩٤.
- (٨٢) الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود، بدائع الصنائع، ج ٧، ص ٢٣٤.
- (٨٣) الدردير، أبو البركات أحمد بن محمد (ت ١٢٠١هـ)، الشرح الصغير، مراجعة الدكتور مصطفى كمال وصفي، دار المعارف بمصر، سنة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ج ٢، ص ٢٩١.
- (٨٤) الشيرازي، أبو اسحق ابراهيم، المهذب، ج ٢، ص ٢٦٣.
- (٨٥) ابن قدامة، المغني، ج ٨، ص ٥٢٥.
- (٨٦) ابن عابدين، محمد أمين، (ت ١٢٥٢هـ)، حاشية ابن عابدين. رد المحتار على الدر المختار، طبعة دار الفكر، ط ٢، بيروت، سنة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م ج ٤، ص ١٨٣.
- (٨٧) المهذب، ج ٢، ص ٢٧٧. والام، ج ٧، ص ٣٥٨.
- (٨٨) المقدسي، ابن قدامة، الشرح الكبير، ج ٢، ص ٥٦٧.
- (٨٩) العدوي ج ٢، ص ٢٥٦.
- (٩٠) ابن عابدين، حاشية ابن عابدين، ج ٤، ص ١٨٣.
- (٩١) أبو زهرة، محمد، العلاقات الدولية في الإسلام، طبعة دار الفكر العربي، ص ٧٣.
- (٩٢) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، ط ٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، مكتبة دار الفيحاء، دمشق، ومكتبة دار السلام، الرياض، ج ٣، ص ٤٨١.